# روزا 2

إشراف:
حسام سعداوى

ROSE AL YOUSSEF

## صعيدية فى مواجهة كوفيد!



قيادات نسائية حول العالم
## «منصبهن» عظيم!

عبدالله محمود.. فى ذكراه:
## الحمد لله خلاص هانت!

كيف استطاعت بسمة التخفيف عن عشرات المصابين من مرضى «كورونا»:

# صعيدية فى مواجهة كوفيد!

**فى منتصف مارس الماضى، طالبت وزارة الصحة والسكان، كل من يرغب فى الانضمام إلى فريق العمل الخاص بمواجهة تفشى فيروس «كورونا» المستجَد «كوفيد 19»، بملء بياناته من خلال استمارة إلكترونية، على موقع الوزارة الرسمى، تحت شعار «كن بطلًا».**

## أمانى أسامة

على الجانب الآخر، كان البعض لا ينتظر بيانًا رسميًا؛ ليمارس إنسانيته على أكمل وجْه، فمع بداية انتشار جائحة «كورونا» فى مصر، كان هناك جنودٌ سخّروا حياتهم لخدمة مصابى الوباء القاتل، لا يهابون العدوَى، وهم يسمعون آهات المرضى تخرج من الحناجر ولا تجد دواءً شافيًا لدائهم الذى حير العالم فى التوصل إلى علاج له.

### النهار للعزل.. الليل للخير

فى صعيد مصر، وتحديدًا بمحافظة أسيوط، كانت هناك «بسمة رشاد» تعمل مشرفة تمريض بأحد مستشفيات العَزل فى مدينة أسيوط، ففى بداية مايو الماضى، قرر المستشفى تحويل الدُّور الذى تشرف عليه، لدُور خاص لرعاية حالات فيروس «كورونا» فى المدينة: «مهمة الإشراف هى متابعة الحالات، وتوزيع الورديات على الممرضين والممرضات وفق جدول زمنى مُعين، لكن لى سُلطة الدخول للحالات والمتابعة معهم طوال فترة حَجْرهم الصحى».

لم يكن المستشفى يعلم بعد؛ أن مشرفة التمريض لديهم ليست بحاجة إلى قرار رسمى؛ لتتابع الحالات المستجَدة، لكنها تطوعت لتفعل ذلك بعد نهاية ورديتها بالمستشفى كل يوم: «مع بداية انتشار المرض فى مصر، لم يكن الكثيرون على علم بمدى خطورته، وطبيعة عملى جعلتنى أكثر اطلاعًا على ذلك، بدأتُ تحصينَ نفسى وأبنائى بجدية من أول يوم، ووهبتُ نفسى للمعركة المقبلة، حتى جاء موعد التفشى والشعور بالرهبة الحقيقى، فى مطلع إبريل 2020م، ازدادت الحالات، ولم نعد نستطيع حساب أرقامها، فقررتُ معالجة أهل مدينتى بنفسى، من خلال الإشراف على علاجهم فى منازلهم؛ لتوفير أماكن لآخرين فى المستشفى، فكان النهار مكرسًا لخدمة مرضى المستشفى، وفى المساء منازل الحالات المجاورة».

بعض الحالات لم تكن لديهم إلا أعراض شبيهة للمرض، فتوهّموا الإصابة بفيروس «كورونا»

## وقت الحرب

قبل تفشى الفيروس بشهور قليلة، تعرضت مشرفة التمريض «بسمة» لمرض شديد بسبب قلة المناعة: «تعرضتُ لوعكة صحية جعلتنى راكدة بالفراش لمدة طويلة، ولم يمر على شفائى شهور ضئيلة، حتى تفشى فيروس «كورونا»، فكانت مسألة التطوع لعلاج المرضى فى عزلهم المنزلى بمثابة «انتحار» أمام أبنائى وزوجى، فرفضوا الفكرة تمامًا فى البداية، وعارضوا خروجى، لكننى لم ألتفت لأى تحذيرات حولى، فأنا أعمل بمستشفيات منذ نعومة أظافرى، والآن وقت حرب، وأعتبر نفسى أحد جنودها وعلىّ المقاومة».

## درع مساعد

4 أبناء، كانت تلك هى تركة مشرفة التمريض بمستشفى أسيوط من الحياة، خلال الظروف الراهنة، أصبحوا لها درع المساعدة لتتمكن من مواجهة الفيروس المستجَد بعقل خال من التشتت: «لدىّ 4 أبناء، الكبير بينهم مصور صحفى حُر، والصغيرة بالمرحلة الابتدائية، ولدى ابنتى بمنتصف العشرينيات، وابن آخير بالجيش».

تابعت: «خلال تواجدى خارج المنزل للعمل، والمرور على منازل المرضى، يقسّم أبنائى تدابير العمل المنزلى بينهم، حتى الطعام، يطبخ ابنى الكبير يومًا، وابنتى يومًا حسب التقسيم بينهما، فلا أشعر بأى عبء من ناحية المنزل، حتى أن نجلى الكبير قرر عدم السفر إلى القاهرة لمباشرة عمله حتى يتمكن من مساعدة أشقائه ومساعدتى خلال هذه الفترة، كل هذا إضافة لبذل قصارى جهدى حتى لا ينتقل الفيروس داخل منزلنا البسيط».

## «كورونا» لا سلكى

لم تتوقف خدمات سيدة أسيوط عند محل إقامتها والمنازل المجاورة، لكن امتدت إلى ما هو مُصنف «خارج الحدود»: «تواصَل معى بعض المرضى خارج مصر من الدول العربية، مثل السعودية، بتوصية من أقاربهم ومعارفهم؛ لأتابع حالتهم حتى يُكتب لها الاستقرار.. «من خلال الفيديو أو المكالمات، لأتمكن من متابعة حالاتى؛ حيث يبدأ المريض فتح فيديو كول على سبيل المثال؛ لأتمكن من رؤية الأعراض وتطورها، وتحديد إذا كانت أعراض المرض اللعين، أمْ مجرد أعراض نزلة معوية عادية، وإذا كانت الحالة لا تستدعى الرؤية، أتواصل معها عن طريق الهاتف إلى أن تتعافى».

أصدقاء وجيران، كتب لهم الشفاء خلال 14 يومًا من العَزل المنزلى، بعد اتباع إرشادات مشرفة أسيوط، التى تسير فيها وفق بروتوكول وزارة الصحة والسكان للعزل المنزلى، والموضوع لفئات معينة، وهى: «السّن أقل من 60 عامًا، درجة الحرارة أقل من 38، تركيز الأكسجين فى الدم أعلى من 9، نبضات القلب أقل من 110 نبضات فى الدقيقة، معدل التنفس أقل من 25 مرّة فى الدقيقة، نسبة كرات الدم البيضاء المحببة/ كرات الدم البيضاء الليمفاوية أقل من 3.1، حال وجود أمراض مزمنة مثل السكرى، وارتفاع ضغط الدم، تكون الحالة مستقرة بالأدوية، ولا يتلقى أدوية مثبطة للمناعة، لا يوجد حمل، لا يعانى من أورام سرطانية، وغير خاضع للعلاج الكيماوى، لا يعانى من سمنة مفرطة بمؤشر كتلة الجسم أقل من 40 كجم/م2».

بعض الحالات لم تكن لديهم إلا أعراض شبيهة للمرض، فتوهّموا الإصابة بفيروس «كورونا» بسبب الأحداث حولهم: «بعض من أصدقاء نجلى الكبير، كان لديهم أعراض، لكن بعد متابعتى للحالات، اكتشفت أنها حالات «نزلة برد» عادية ليس «كورونا»، لكنهم توهّموا، مع العلاج والمتابعة، كتب لهم الشفاء خلال أيام بسيطة».

## أيام خاصة

أيام خاصة، أراد أبناء «بسمة» تواجدها جانبهم، فهى لحظات لا تكرر كثيرًا فى العام، لكن إخلاصها لمهمتها منعتها من ذلك، يقول «محمد سويفى» نجل مشرفة التمريض الأكبر: «فى رمضان كانت أمى تفطر خارج المنزل بسبب طبيعة عملها، كنا ننظر عودتها مع أذان المغرب لتكون بيننا، لكنها دائمًا تقدّر مهمتها وتعلم أننا نفتخر بها أيضًا بين الناس ولم نكن عائقًا أمام الثواب الذى تحاول جاهدة إخفاءه عن الجميع، فهى لا تحب الحديث عن نفسها، تحاول العمل فى هدوء فقط، والسعادة الحقيقة تتمثل أمامها عند شفاء المرضى».

## عزل 3 أيام

لحظات صعبة، خاضتها «بسمة رشاد» حين علمت بمرض إحدى السيدات المسنات فى منزل قريب من منزلها، ذهبت لتباشر حالتها ومتابعتها، لكن خوف السيدة، أجبرها على الانعزال معها حتى تستقر الحالة: «كانت خائفة جدًا، ترتجف، لكننى اعتدتُ مواجهة الوباء، ولا أسمح له أن يُخيف أحبابى، لذا قررتُ الانعزال مع السيدة حتى تطمئن وتستقر حالتها، وبالفعل ظللنا سويًا طيلة 3 أيام حتى عُدتُ إلى منزلى بعد الاطمئنان على حالتها، كانت أصعب الليالى خلال مسيرة المواجهة، لكننى أتوقع الأصعب». ■

دول السياحة الجنسية تجمد نشاطها بسبب الوباء:

# اقتصاديات «الليالى الحمراء»!

**ازدهرت صناعةالسياحة الجنسية خلال السنوات الـ20 الأخيرة بشكل لافت، مع تعدُّد الوجهات والمناطق التى روجت لها، حتى أصبحت جزءًا أصيلا من حركة السياحة العالمية.**

**وبخلاف كل الأزمات العالمية التى كانت بمثابة الفرص لرواج ذلك النوع من السياحة؛ جاءت جائحة كورونا، لتكسر هذه القاعدة؛ إذ وجّه الفيروس ضربة قويّة للسياحة الجنسية حول العالم.. وفى السطور التالية نرصد أهم تأثيرات الوباء على تجارة الجنس، خاصة فى ظل توقعات بأن الموجة الثانية من الفيروس بإمكانها القضاء على تلك الصناعة بالكامل.**

رضا خليل

## الحى الأحمر

توقُّف حركة السياحة حول العالم، بسبب إجراءات منع السفر وغلق الحدود وحظر التجوال، أدى تلقائيًا إلى توقف نشاط تجارة الجنس، لكن يبدو أن الأمر لا يقف عند التوقف المؤقت الذى فرضته ظروف الجائحة العالمية، وخاصة أن الكثير من الحكومات اعتبرتها فرصة لمكافحة هذه الأنشطة.

أعلنت الحكومة الهولندية مؤخرًا عن دراسة لتغيير النمط الاقتصادى فى الحى الأحمر بالعاصمة أمستردام؛ بحيث يكون مكانًا يستطيع أن يعيش فيه المواطنون بشكل طبيعى.

فمع تفشى جائحة فيروس كورونا فى هولندا خلال شهرى مارس وأبريل الماضيين تحول وسط العاصمة أمستردام البالغ عمرها 15 عامًا إلى مدينة أشباح، بعد اختفاء بائعات الهوى اللاتى كن يقفن خلف نوافذ زجاجية بملابس شبه عارية فى أزقة صغيرة مثل «ستوفستيج»، لجذب آلاف السائحين ممن جاءوا لهذا الغرض.

كما خلت المقاهى فى الميادين التاريخية مثل «ريمبراندت بلين» و«ليدس بلين» من الزوار الذين كانوا يتدفقون على المدينة لتعاطى مخدر الحشيش المسموح بتداوله قانونا فى هولندا.

ومع غياب السائحين الأجانب الذين كان يزيد عددهم على مليون سائح شهريًا بما يتجاوز عدد سكان المدينة، نتيجة تفشى الوباء، ظهرت حقيقة مهمة وهى أن سكان أمستردام المحليين قد فقدوا مركز مدينتهم التاريخى، بعد غياب الكثير من أهل المدينة خلال السنوات الماضية.

وقالت «ماشا تن بروجينسكيت»، رئيس مجلس الحى المركزى فى مدينة أمستردام: «إن الجائحة أظهرت بشكل مؤلم حقيقة أن عددًا قليلا جدًا من الناس يعيشون فى وسط المدينة وأظهرت مدى قلة ما يوفره وسط المدينة لسكانها المحليين، وعلينا تغيير هذا الوضع».

فى السياق نفسه، تدرس العديد من المدن والدول فى مختلف أنحاء العالم ما يجب عليها من تغييرات فى عصر ما بعد كوفيد19، فإن الأمر يصبح أكثر أهمية بالنسبة لأمستردام التى تستقبل نحو 19 مليون سائح سنويًا يحققون لها دخلا يبلغ 6 مليارات يورو (6.8مليار دولار).. ما يدفعها للبحث عن التوازن بين جذب السائحين والمحافظة على السكان المحليين فى وسط المدينة.

وفى نهاية مايو الماضى، كشفت «فيمكه هالسيما»، عمدة أمستردام، عن خطة لتحقيق هذا الهدف، وأشارت فى خطابها الموجه إلى المجلس المحلى لوسط المدينة، إلى ضرورة الحد من التراخيص حتى لا يتحول وسط المدينة إلى مجرد مجموعة من المحال التى

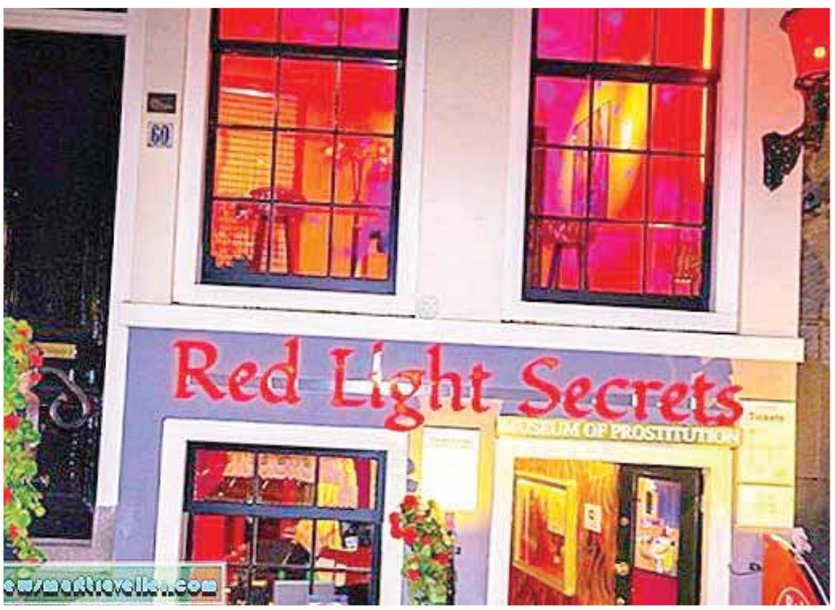

تبيع التذكارات والحشيش والحلوى، وتحويلها لشركات يمكن لأهل المدينة العمل فيها ومساكن يعيشون فيها ومتاجر بقالة ومنافذ يجدون فيها احتياجاتهم اليومية.

وقالت «هالسيما»: «هذه ليست أول مرة تحاول فيها حكومة العاصمة توفير فرصة حياة حقيقية لأهلها فى وسط المدينة، لكن أزمة كورونا أكدت على ضرورة التفكير فى مستقبل وسط المدينة التى تعتمد بالكامل على السياحة الجنسية وهو أمر يجب تغييره».

فى المقابل، فإن الكثير من بائعات الهوى فى أمستردام رفضن الخطط المقترحة من قبل رئيسة البلدية، موضحات أن من شأن تلك الخطط القضاء على عملهن نهائيًا والقضاء على منطقة «الضوء الأحمر» بالكامل، وهو حى الدعارة الأشهر فى العالم.

## مدينة الخطيئة

تعد تايلاند قبلة للسياحة الجنسية والدعارة بسبب الأسعارالمتدنية فيها، حتى إن مدينة «باتايا» جنوب العاصمة بانكوك يطلق عليها «مدينة الخطيئة» أو«عاصمة الجنس فى العالم».. وعلى طريقة أمستردام استغلت السلطات التايلندية فرصة توقف السياحة بعد انتشار الفيروس لتنفيذ خططها فى الحد من انتشار أنشطة الدعارة والسياحة الجنسية.

ورغم أن الدعارة مجرمة قانونيًا فى تايلند؛ يوجد ما لايقل عن 300 ألف شخص يعملون فى سوق الجنس، جميعهم توقفوا عن ممارسة ما دأبوا عليه منذ سنوات بسبب فيروس كورونا، ومع الوقت أصبح هذا النشاط مقبولا لما يدرّه من أرباح وعائدات على الدولة والأفراد.

■■■

تأتى الفلبين فى المرتبة الثانية بعد تايلاند ضمن مدن تجارة الجنس زهيدة الأسعار، وأصبح كورونا فرصة لا تعوض للرئيس الفلبينى «رودريغو دوتيرتى» لتنفيذ أجندته الخاصة بمحاربة تجارة المخدرات ومنع الفلبينات من السفر للعمل كخادمات فى الخارج، فضلا عن توقف نشاط السياحة الجنسية الذى كان يزور البلاد من أجله نحو 1.2 مليون سائح من إجمالى عدد سياح يصل إلى 6 ملايين سائح سنويا.

الشهرة الكبيرة لتايلاند والفلبين فى مجال السياحة الجنسية لم تمنع ماليزيا من حجز نصيبها من كعكة تجارة الجنس العالمية خلال السنوات الأخيرة، فبحسب تقرير لصحيفة «دى فيلت» الألمانية أشارت فيه إلى ازدهار السياحة الجنسية فى ماليزيا خلال السنوات الماضية، لتتجاوز بذلك تايلاند والفلبين وتصبح الوجهة العالمية الأولى لسياحة الجنس الرخيص.. خاصة بعد انتشار صالونات التدليك (المساج) المصحوب بالجنس فى «بوكيت بينتانج» أحد أكبر شوارع العاصمة كوالالمبور.

لم يمنع تجريم الدعارة قانونا فى ماليزيا من ازدهار تجارة الجنس فى السنوات الماضية، لتبلغ قيمة عائدتها نحو 854 مليون يورو حسب موقع «هوفاسكوب جلوبال بلاك ماركت إنفورميشن» المتخصص فى بحوث الأسواق السوداء حول العالم.

وتشير صحيفة «دى فيلت» إلى أن بيوت الدعارة الصغيرة والنزل المؤقتة وصالونات التدليك المصحوبة بالجنس باتت منتشرة فى البلاد بصفة ملحوظة، وتشير الإحصاءات، بحسب الصحيفة، إلى وجود 52 بائعة هوى لكل عشرة آلاف نسمة فى ماليزيا، بينما تبلغ النسبة فى تايلاندا 45 فقط لكل عشرة آلاف نسمة، وفى ألمانيا 49 بائعة هوى لكل عشرة آلاف نسمة، لكن الحكومة الماليزية الجديدة برئاسة محيى الدين ياسين، استغلت الإغلاق العالمى بسبب الوباء لمكافحة هذا النشاط.

## عائدات ضخمة

وبالعودة إلى عواصم تجارة الجنس الغنية فى الغرب، فمن المعروف أن معظم الدول الغربية تبيح السياحة الجنسية عبر قوانين تعرف بقوانين حماية الدعارة، لذلك فإن كثيرًا من تلك الدول تجنى أموالًا ضخمة من هذه التجارة، عبر فرض الضرائب والرسوم عليها.

وتربعت إسبانيا على عرش سياحة البغاء فى أوروبا خلال الفترة الأخيرة، خاصة بعد اتجاه بعض الدول الأوروبية لتجريم هذا النشاط خلال السنوات الأخيرة.

وتعد قرية «لا جونكيرا» فى شمال

إسبانيا، نموذجًا على انتعاش هذه التجارة خلال السنوات الأخيرة؛ حيث تحولت إلى مركز دعارة بمعنى الكلمة فى غضون بضع سنوات، خاصة بعد تجريم فرنسا لهذا النشاط فى عام 2016.

القرية التى كانت محطة استراحة للشاحنات التجارية داخل القارة الأوروبية، بسبب موقعها على الحدود الفرنسية، أصبحت تحتوى اليوم على الكثير من بيوت الدعارة منها أكبر بيت فى أوروبا والذى يسمى paradise club وشارع مكتظ بالغانيات، وهو الأمر الذى أصبح يؤرق سكان المدينة.

فمنذ تشديد فرنسا الرقابة على الدعارة على حدودها عام 2016، أصبحت «لا جونكيرا» فى كاتالونيا مركز ممارسة الجنس بالنسبة لفرنسا، وهو الأمر الذى أدى إلى زيادة كبيرة فى عدد بائعات الهوى القادمات من بلدان أوروبا الشرقية خاصة رومانيا.

ولم يكن الجنس وحده هو السلعة المطلوبة فى هذه البلدة الحدودية الصغيرة؛ إذ كان يأتى إليها 7 ملايين زائر سنويًا، منهم مسافرون وسياح، ما جعلها قبلة للباحثين عن الأسعار الرخيصة للكحوليات والسجائر أيضًا. وتقول عمدة البلدية «سونيا مارتينز»: «إن ذلك يعد مشكلة للبلد برمتها. فأول ما يشاهده القادمون من فرنسا هو مشهد بائعات الهوى شبه العاريات اللائى يقفن على جانبى الطريق لعرض أجسادهن لجذب الزبائن».

وأضافت «مارتينز»: «قبل كورونا، كنا نكافح ذلك السلوك بهدف القضاء عليه، وذلك بالرغم من تراخى الحكومات الإسبانية فى سن قوانين تكافح هذه التجارة التى تعد إهانة للمرأة. ورغم الصعوبات التى خلفها فيروس كورونا؛ فإنه ساهم فى اختفاء هذا النشاط إلى حد كبير بهذه القرية خاصة بعد غلق الحدود بين البلدان الأوروبية».

وتعتبر إسبانيا ثانى أكبر وجهة سياحية فى العالم بعد فرنسا، إذ كانت تستقبل أكثر من 82 مليون زائر سنويا، بإيرادات تبلغ نحو 77 مليار دولار، تشكل السياحة الجنسية جزءًا كبيرًا منها.

## مكافحة الدعارة

فى العام 2002 صدر قانون ينظم ممارسة الدعارة داخل ألمانيا، لكن هذا القانون تراه كثير من منظمات حماية حقوق المرأة لم يوفر حماية أفضل للنساء والفتيات من الاستغلال. وترى منظمات المجتمع المدنى أن قانون الدعارة الذى صدر فى عام 2002، لم يعزز حقوق بائعات الهوى.

دفعت تلك المطالبات الحكومة الألمانية لسن قانون لتنظيم الخدمات الجنسية فى العام 2017، يهدف إلى حماية النساء من العنف والإكراه، وبموجبه أصبحت بيوت الدعارة تحتاج إلى تصريح للعمل، كما ينبغى على العاملات فى ذلك المجال تسجيل الحصول على شهادة للعمل.

وفى السنة الأولى بعد بدء العمل بالقانون، لم يتم تسجيل سوى نحو سبعة آلاف امرأة، من عدد الغانيات البالغ عددهن قرابة المليون ومئتى ألف فى ألمانيا، ولا يزال قانون الدعارة فى ألمانيا، واحدًا من أكثر قوانين الدعارة ليبرالية، حتى إن البعض يعتبر ألمانيا «ماخور أوروبا» وذلك لأن ما بين 80 و90 %من بائعات الهوى يأتين من الخارج، وقد وصل العديد منهن ألمانيا عبر التهريب فى ظروف قسرية وغير إنسانية.

وترى الحكومة الألمانية أن حظر شراء الجنس قد يكون أمرًا خاطئًا، لأن الخطر يكمن فى «تعرض بائعات الجنس للاستغلال بطرق غير قانونية ووقوع مخاطر هذه المهنة على عاتقهن من دون حماية». وتحصل ألمانيا على نحو 9 مليارات دولار سنويا كإيرادات تأتى من خلال التراخيص التى تمنحها بيوت الدعارة لخزينة الدولة.

## أرض الأحلام

على الشاطئ الآخر من المحيط الأطلسى، فقد أدى الانتشار الواسع لفيروس كورونا فى الولايات المتحدة، لتأثر تجارة الجنس بشكل كبير؛ إذ أدى إلى توقف نحو مليون عامل فى مجال الجنس بجميع أشكاله عن العمل.

وتحارب حكومة الرئيس دونالد ترامب تجارة الجنس، وهو ما دعاها إلى حظر القروض والمعونات عن الشركات الصغيرة التى تضررت جراء الجائحة والباحثة عن قروض طارئة وفقا للقواعد الحكومية، والتى تبيع «منتجات أو خدمات ذات طبيعة جنسية».

وفى صحيفة «هافينغتون بوست» كتبت «مولى سيمون»، إحدى بائعات الهوى فى نيويورك، «إن عدم رغبة حكومتنا فى الاعتراف بالعمل الجنسى كمجال لا يحمل طابعًا إجراميًا يعنى أن العديد من العمال سيدفعون بسرعة إلى حالة من اليأس المالى»، كما حذرت من أن هذا الوضع قد يجبر العاملين فى مجال الجنس على «قبول زبائن يعرفون أنهم غير آمنين ويخاطرون بالتعرض للإساءة أو الاغتصاب لأنهم يحتاجون إلى إطعام أنفسهم أو أطفالهم أو دفع الفواتير».

فى النهاية، يمكننا القول أن كورونا خلق فرصة ذهبية للحكومات للتخلص والحد من السياحة الجنسية، وساعدت حالة الإغلاق العالمى الحكومات فى فرض وتنفيذ خططها، فيما دفعت العاملين بهذا المجال للبحث عن مجالات عمل أخرى. ■

خيرى حسن
يكتب عن:

(مدينة الجيزة - 1996)
[ولابد من يوم محتوم
تَرد فيه المظالم
أبيض على كل مظلوم
أسود على كل ظالم]

عبدالله محمود.. فى ذكراه:

# الحمد لله خلاص هانت!

فى ممر ضيّق، وطويل يحتل الدور الأرضى من مستشفى الهرم. يجلس على مقاعده مرضى، جاءوا من قرى ومدن شمال الصعيد. محوّلين من مكاتب التأمين الصحى. عيون المرضى زائغة. شفاهم تنطق بالأحرف الأولى للوجع. أيديهم تهتز من شدة القلق. الكل- وأنا بصحبة أبى المريض وقتها - فى انتظار الأطباء أمام مدخل العيادات الخارجية. جلس أبى على مقعد بجواره. وقفت أنا أتابع من بعيد لحظة ظهور الطبيب المعالج. الوقت يمر ببطء، حكايات المرضى التى أسمعها من بعضهم مؤلمة إلى حد البكاء. الطبيب يبدو أنه معتاد التأخير. وأنا بدأت أشعر؛ بأننى فى منتصف الطريق بين بشر، متمسكين بالحياة. وآخرين استسلموا- من قسوة المرض- فى انتظار الموت.

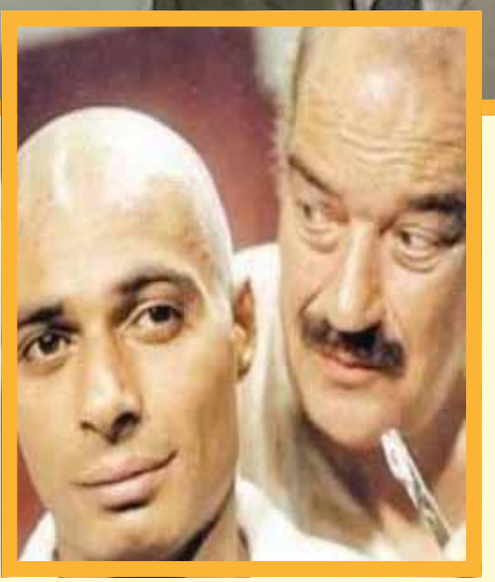

من بعيد، لمحت شابًا نحيل الجسد. أسمر الوجه. قادمًا فى الممر نحونا. يمشى بخطى ثابتة. المرضى ومن معهم بدأوا يهرولون إليه- وتجاهلوا المرض- ليسلموا عليه، وبينهم من يصر على أن يحتضنه بكل بقوة. خطوات بعد خطوات، اقترب من المكان الذى أقف فيه.

إنه الفنان عبدالله محمود «1960 – 2005». أنا لم أتحرك إليه، ولم أسلم عليه، ولا أدرى حتى الآن سببًا منطقيًا لذلك!

بعد لحظات، وقف بجوارى، وفى يده تحاليل، وأوراق، أخرى فى انتظار وصول الطبيب كحال باقى المرضى. وبعدما أخذ مكانه فى الوقوف، وقف رجل ستينى وتقدَّم إليه، يذكره، ويحدثه عن دوره فى مسلسل «ذئاب الجبل» الذى لعب فيه دور الضابط عصام فى نقطة شرطة «بهتون الجبل» الذى ظل يطارد «البدرى بدار»- أحمد عبدالعزيز – حتى ألقى القبض عليه فى مدينة الإسكندرية، فى الحلقة الأخيرة. سأله الرجل بكل براءة، واندفاع قائلًا: «قولى يا أستاذ عبدالله.. هو إنت كنت ليه قاسى على «بدرى بدار كده؟.. زى ما يكون بينك وبينه تار»؟ سأله الرجل، ثم عاد وجلس مكانه. وهو يدندن [ومين اللى ظلمك يا بايا/ وخلى ظلمك حكاية]. عبدالله محمود وهو يبتسم رد: (ياعم الحاج.. ليس هذا ذنبى.. السيناريو كده)!.. ثم قال وهو يضحك:

(أنا مثلك كنت أحب بدرى بدار..والله)

هزّ الرجل رأسه معبرًا عن عدم قناعته بذلك المنطق. بعد دقائق جاء الطبيب.. فازدحم المكان. وحدثت الفوضى المعتادة. واختلط الأمر ما بين طوابير غير منظمة، وبين زحام على أبواب العيادات. وسط حالة الفوضى. فى هذه اللحظة غاب عن وجهى الفنان عبدالله محمود، فلم أعد أراه. ولم يعد المرضى يهتمون، إلا بالدخول للطبيب.

■ ■

(مدينة الجيزة – 2005)

[• واللى زارع فى صوته
• فدّان ورد وأغانى
• مالى دبْلتْ وُرُودى
• وكاسَ هَمَك سقانَى]

مرت سنوات عديدة على هذا اللقاء، إلى أن وجدت نفسى ذات يوم فى طريقى لشارع الهرم مرة أخرى، لإجراء مقابلة صحفية معه، ولكن هذه المرة المكان محدد، والزمان محدد، وهو فى انتظارى. المكان فيلا قديمة.. درجة الحرارة شديدة. والضجيج فى الشارع لا ينتهى. استقبلنى بابتسامة. ثم قال: الجو هنا حار. ونحن الآن فى «استراحة» لمدة ساعة، والمكان مزدحم بالزملاء والكاميرات، لذلك دعنا نخرج ونجلس فى البلكونة التى تطل على حديقة واسعة. ثم سكت قليلاً وقال: «بالفعل الجو.. هنا خانق جدًا»، تقدم أمامى فى طرقة ثم صالة كبيرة ثم ممر متوسط الحجم، ومنه وجدنا أنفسنا فى «البلكونة». عندما جلسنا وجدنى أضحك بشدة.. وقبل أن يسألنى. حدّثته عن اللقاء الذى رأيته فيه فى مستشفى الهرم قبل سنوات. بالطبع هو لم يتذكر عنه شيئًا، لكنه التزم الصمت قليلاً، وقال: إنت تعرف أننى قدمت أعمالاً كثيرة فى الدراما والسينما والمسرح.. منها مسلسل «البوسطجى» عن رائعة عمنا يحيى حقى سنة 1974. و«أبواب المدينة» و«الأبرياء» و«كعب داير» و«الفراشات تحترق دائمًا» وغيرها من الأعمال الدرامية، لكن يبقى مسلسل «ذئاب الجبل» هو الأعلى حظًا فى الانتشار

## قدم أعمالًا كثيرة منها «البوسطجى» و«أبواب المدينة» و«الأبرياء» و«كعب داير» و«الفراشات تحترق دائمًا»

الجماهيرى، وحتى اليوم، يتذكره الجمهور فى أى مكان أتواجد فيه. قلت له: ولماذا حظى هذا العمل بهذا الإعجاب منقطع النظير؟ رد وهو ينظر إلى الفضاء حولنا: أظنه الظلم.. ثم عاد وكررها ثلاث مرات «الظلم.. الظلم.. الظلم» ثم وقف فى مكانه، وبدأ يتحرك يمينًا ويسارًا وهو ينظر للفضاء الفسيح وأنا أنظر إليه، ثم قال: فى مسلسل ذئاب الجبل، شعر المشاهد أن هناك صراعًا بين الخير والشر. بين العدْل والظلم. بين الأمانة والخيانة. والمشاهد الذى تابع العمل كان ينتظر نهاية هذا الصراع. ويتمنى أن ينتصر العدل، وينتصر الخير على الشاشة. لأنه- فيما يبدو- كان يشعر - أى المواطن - أنه خسر الصراع فى الواقع، بعدما حُسم لصالح الظلم على حساب العدل. ولصالح الشر على حساب الخير. استمر الحوار تقريبًا 40 دقيقة، وقبل أن يعود لمواصلة التصوير، لفت نظرى وقتها ونحن نتحدث أنه يلتزم الصمت كثيرًا، وعيونه تنظر للسماء، وكأنه يشعر أنه فى طريقه لمغادرة الحياة. شعرت أنه زاهد فى الشهرة وزاهد فى النجاح.. وزاهد فى الحياة نفسها!

■■

( القاهرة - صيف - 2005)

[ •أنا فى الغربة ساكن
•والجرح فى قلبى ماكن
•ضاقت بيا الأماكن
•حقى ضايع ولكن
•بكره يرجعلى يابا]

بعد مرور أكثر من عام على هذا اللقاء، أُصيب بالسرطان الذى جاءه فى المخ دون سابق إنذار. ليبدأ بعدها رحلة العلاج من مستشفى إلى آخر حتى استقر فى مستشفى معهد ناصر. وقتها فكرت أن أذهب إليه لإجراء حوار عن رحلة مرضه، وكانت وقتها حالته الصحية فى تحسُّن مع بداية العلاج، وظهر إعلاميًا بصورة مكثفة وشارك فى عرض خاص لفيلمه الأخير الذى قام ببطولته وإنتاجه «واحد كابتشينو» ومن قبل ذلك شارك فى تشييع جنازة الفنان أحمد زكى الذى كان يحبه، منذ أن شارك معه فى عدة أعمال سينمائية أبرزها فيلم «الإمبراطور». بعد أسابيع عاد مرة أخرى للمستشفى ويومها قررت الذهاب إليه، فى الطريق وأنا أسير على كورنيش النيل من أمام مبنى ماسبيرو فى اتجاه المعهد، تذكرت مشواره الفنى القصير، الذى قدم فيه أدوارًا مميزة فى أفلام «الطوق والأسورة» و«سواق الأتوبيس» و«المواطن مصرى» كعلامات بارزة فى تاريخه السينمائى وتاريخ السينما العربية. وقدم «عرق البلح» و«عفاريت الأسفلت» و«شمس الزناتى». أما بدايته فى السينما فكانت مع الراحل يوسف شاهين مع صديق عمره الفنان محسن محيى الدين فى أفلام «إسكندرية ليه» و«حدوتة مصرية» و«المصير» بعد هذه المرحلة انطلق وقدم العديد من الأعمال منها «ديسكو ديسكو» و«حنفى الأبهة» و«الطريق إلى إيلات». وفى الدراما قدم مسلسلات «الطاحونة» و«نبع الحب» و«الفرسان» و«ذئاب الجبل» و«الوتد» وغيرها من الأعمال المتميزة، التى كان يختارها بدقة شديدة. كنت أسير بخطوات بطيئة على طريق الكورنيش فى طريقى إليه، وفى ذهنى اللقاء الذى كان بيننا قبل شهور، عندما ذهبت إليه فى مكان تصويره لعمل فنى- لا أتذكر اسمه الآن- يومها شعرت أنه ينتظر الموت، وأنه يودع الحياة، كنت أحدثه عن مشاريعه فى المستقبل، فلا يرد! أحدثه عن نجاحه، فلا يرد! أحدثه عن الغد فلا يرد!

يومها شعرت أنه يهرب من الحياة، مثلما تهرب الفريسة من عين الصياد!

■■

( مبنى مستشفى معهد ناصر- الدور 7)

• [يا زمان حنون وغادر
• أنا مين؟ ماتشوفنى تانى
• الواد أبو ضحكه تطلع
• م القلب الأخضرانى]

بعد مشوار طويل، وشاق من المشى على الكورنيش وصلت. صعدت إلى الدور السابع. اتجهت من خلال ممر، يلهث فيه الموت، ليقف على أبواب المرضى. الآن وصلت بالقرب من حجرته. ووقفت فى مكانى. بصعوبة حاولت إقناع نفسى فى الدخول إليه. ونفسى ترفض الاستجابة. بعد دقائق لمحت ممرضة تخرج من حجرته.. تقدمت إليها، عرفتها بنفسى. ثم سألتها عن الحالة. سكتت قليلًا. ثم قالت: «ربنا يلطف به ويلطف بينا»! ضغطت على الأوراق التى فى يدى. لاحظت الممرضة حالتى. سألتها: هل أستطيع الدخول إليه؟ ردت بتأثر شديد: إنه يغيب عن الوعى كثيرًا، ولا يفيق إلا لحظات قليلة. ثم أخذت طريقها وغادرت المكان. بعد دقائق عادت مسرعة. أنا مازلت فى مكانى. سألتها: ماذا حدث؟ لم ترد. ثم دخلت إلى غرفته مسرعة. بعد دقائق خرجت بنفس السرعة التى دخلت بها. فى هذه المرة اعترضت طريقها. قلت لها: ماذا حدث؟ قالت: تدهور خطير فى حالته. وسيتم نقله إلى غرفة العناية المركزة. ثم سقطت من عينها دمعة لا أنساها وهى تقول: «بجواره راديو يعمل على إذاعة القرآن الكريم ليلا ونهارًا». ثم أكملت قائلة: «دخلت مرة إليه، وهو فى غيبوبة تامة.. القرآن بجواره يُتلى بصوت الشيخ عبدالباسط عبدالصمد.. وفجأة عاد إليه الوعى قليلا وسمعته يردد: الحمد لله.. الحمد لله.. خلاص هانت! ثم بعد ذلك فقد الوعى مرة أخرى»! كانت تقول ذلك، وهى تمشى بجوارى، عندما لاحظت رغبتى فى مغادرة المكان. وصلنا عند باب الأسانسير. وهنا افترقنا، هى صعدت للطابق العلوى تستدعى أحد الأطباء. وأنا أخذت طريقى للخروج من المستشفى. بعد دقائق وصلت إلى الكورنيش مرة أخرى عائدًا إلى منزلى. وتركته هو يستعد إلى رحلته الأخيرة، والتى يبدو أنه كان يستعد لها منذ سنوات.

■■

[•أسافر فى الصباح
•وأسافر فى الغروب
•هربان من الجراح
•ولا من الهروب
•خدنى من غير رجوع
•باكى نسى الدموع
•من خلا العين حزينة
•وجَرح القلوب]

(المعادى - يونيو 2005)

وبعد مرور عدة أيام. رن جرس هاتفى. على شاشته اسم صديقه حمدى بسيط - رحمه الله - المشرف وقتها على صفحة الفن بصحيفة الوفد - الوه.. الوه.. أستاذ حمدى. رد وهو يبكى: «عبدالله محمود.. مات»! أغلقت الهاتف، وأنا أنظر من نافذة حجرتى للسماء؛ فتطاردنى ملامحه المصرية الأصيلة، الحزينة، فتظهر أمامى وكأنه - رغم الرحيل- يرفض الغياب! ■

**ساهم التطور التكنولوجى الكبير فى ابتكار نوع جديد من الفنون، يعتمد على التحرر من الأنماط والقوالب التقليدية، وحتى على الأدوات التقليدية.. فالريشة والأوراق يمكن استبدالها بالآيباد والتابلت لخلق رسومات ثلاثية الأبعاد.. بهذة الطريقة لم يعد رسم لوحة يحتاج لفنان بالمعنى التقليدى.. فقط كل ما تحتاجه هو قواعد استخدام البرامج والأدوات التى من شأنها تسهيل مهمتك.**

## كيف تخلق التكنولوجيا مستقبلًا مختلفًا للحكي؟

# فنون الواقع الافتراضى!

إبراهيم محمود

وفى الأشهر القليلة الماضية تبنى عدد من الفنانون فى العالم تقنية AUGMENTED REALITY للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم بطرق ملائمة أكثر للتطور التكنولوجى وأكثر تأثيرًا فى متابعى الفنون.. وأصبح موقع التواصل الاجتماعى «انستجرام» بمثابة معرض مكشوف لتلك الفنون.. التى شهدت تفاعلا كبيرًا.. ويتوقع الكثيرون أن تصبح تلك التقنيه مستقبل فنون الحكى والرواية بطريقة تعتمد على إنشاء حوار مع المتلقى وإدخاله فى تفاصيل الحكاية وكأنه يعيشها.

شارك عدد من مبدعى فنون الـ AR تجاربهم الشخصية فى دخول ذلك المجال الجديد مع متابعيهم وهو ما سنلقى عليه الضوء فى السطور التالية لتشكيل صورة أوضح عن فنون الواقع الافتراضى ومستقبلها.

■■■

خلال عملها كفنى وسائط متعددة فى شركة APPLE اكتشفت «هيذر سميث» الإمكانات الإبداعية للتكنولوجيا، ما دفعها لدراسة الوسائط المتعددة التفاعلية بدافع الرغبة فى رواية القصص التى خلقت حوارًا بين الفن والجمهور بدلًا من كونها مونولوجًا من طرف واحد.

وتقول «سميث»: «الأعمال الفنية التى تعتمد على تكنولوجيا الوسائط المتعددة تعمل على تعزيز العلاقات الحقيقية مع أعضاء الجمهور وتفتح لهم علاقات عاطفية أعمق مع الفن.. وبالنسبة لى فإن الفن هو ما ينشئ ذلك الحوار والصلة بين الفنان والجمهور».

تعتمد «سميث» على تخطيط تصورها الفنى على الورق أولا وتحويلها بعد ذلك إلى رسومات رقمية، من خلال إضافة عناصر تفاعلية وعناصر جذب للمتابعين قائلة :«إن الواقع المعزز جيد بشكل خاص فى السماح للأشخاص بتجربة

وجهات نظر ووقائع مختلفة.. فعندما يصبح بمقدورنا جعل الخيال أقرب للواقع يصبح الأمر مثيرًا ويجعل العمل مؤثرًا حقا.. خاصة إذا كانت القطعة الفنية تستجيب لرد فعل الجمهور ويصبح الخط الفاصل بين الفن والجمهور غير واضح ما يؤدى إلى التفاعل بشكل أعمق».

■■■

اعتاد «أندرو ويلسون» تجريب الخط اليدوى بالحبر على الورق قبل ست سنوات، لكنه بمجرد أن اتجه إلى الكتابة الرقمية على IPAD PRO بدأ مرحلة جديدة إذ سمحت له الحروف الرقمية بدمج الرسوم المتحركة فى عمله، وأصبحت فنون الواقع الافتراضى بالنسبة له عالمًا جديدًا بالكامل.

يقول ويلسون: «أنا أستمتع بإنشاء حروف ذات جودة ملموسة.. شيء يخلق وهم العمق باستخدام الضوء والظل.. ومنذ حوالى عام بدأت أرى أشخاصًا يجربون الواقع المعزز باستخدام SLIDE AR، وهو تطبيق غير معقد يتيح لك ترتيب ملفات PNG وGIF فى مساحة ثلاثية الأبعاد.. بالنسبة لى فهذه طريقة رائعة للتوسع فى العناصر ثلاثية الأبعاد التى كنت أحاول بالفعل تقديمها إلى عملى».

على الرغم من أن الـAR هو وسيط جديد، فإن «ويلسون» يستمد الإلهام من تقنيات الحروف التقليدية مثل الرسم على الجدران، والكتابة على الجدران: «أريد دائمًا إنشاء شيء له وزن وملمس.. وأن عملى كله يمكن أن يتم

بين يديك.. ومع كل قطعة أتعلم شيئًا جديدًا.. لدى حاجة لا تشبع لكل قطعة لتشعر بأنها حقيقية أكثر».

■ ■ ■

بالنسبة إلى سوزى فيتر فإن استخدام الواقع الافتراضى يجلب القليل من السحر إلى الحياة اليومية، ما بدأ كتجربة للعب والاستمتاع أصبح جزءًا من سير عملها: «هناك هذه اللحظة السحرية عندما تقوم بتغيير العالم المادى أو تحسينه بشيء افتراضى.. هذا هو التوتر الذى أحب العمل معه فى الواقع المعزز وما أركز عليه فى عملى.. أحب القيام بالقفز من رسم بالقلم الرصاص فى العالم المادى إلى قطعة فنية منتهية فى الواقع الافتراضى.. وعند إنشاء قطعة فنية باستخدام الـAR، أحب أن أعتبرها جزءًا ضروريًا من العمل الفنى وليس زخرفة».

اكتشفت سوزى مستوى من المشاركة والتعاون بشأن الأفكار فى مجتمع الواقع الافتراضى نادرًا فى التقنيات الجديدة، وتأمل أن يُساعد ذلك على تطوير الوسائط والأدوات المستخدمة فى ذلك المجال:«أتمنى حدوث تطور بشكل أكبر فى الوسائط المستخدمة بحيث لا يقتصر الجزء الافتراضى من التجربة الفنية على جهاز صغير مثل الهاتف أو الكمبيوتر اللوحى».

■ ■ ■

بالطريقة نفسها بدأ «مثيو راى» فى إنشاء عوالم خيالية قبل سنوات من توفر أدوات مثل ARKIT من APPLE، من خلال دمج صوره ثلاثية الأبعاد المفعمة بالحيوية مع التصوير الفوتوغرافى للمناظر الطبيعية.. وعلى مدار الأشهر الستة الماضية، تم تحويل سير عمله بفضل الأجهزة والبرامج المتطورة التى جعلت AR متاحًا لمنشئى المحتوى المستقلين، ويقول :«انجذبت إلى الواقع المعزز من خلال الرغبة فى رؤية مظهر خيالى ممزوج بواقعنا المادى فى شكل قابل للمشاركة».

ويوضح «راى»: « إنشاء منحوتات AR ضخمة الحجم ووضعها فى مواقع لا تتوقعها تؤثر على مشاعر الأشخاص الذين يرونها.. لأن العين والدماغ تبحث باستمرار عن المدخلات البصرية والأشكال والألوان والتصاميم الجديدة.. ويتيح لنا الواقع الافتراضى إجراء تجارب فنية غامرة يرغب الناس فى استكشافها حتى يكتشفوها».

■ ■ ■

من جانبها، تقول نادين كولودزى، فنانة بصرية ورسامة مقيمة فى برلين: «إن VR تجربة فريدة للغاية تركز على الشخص الذى يرتدى النظارات.. لكن مع استخدام تقنيات الواقع الافتراضى الجديدة أصبحت تلك الفنون موجهة لكل الناس ولا تتطلب أى مجهود من المتلقى ما يضيف إلى الطريقة التى نتواصل بها حيث ننتقل من العارض أو الزائر إلى المستخدم وهذا يُحدث فرقًا كبيرًا فى استقبال الفنون».

انضمت نادين مؤخرًا إلى المجتمع المتنامى للفنانين الذين يصممون تجارب INSTAGRAM :«إن سحر شيء لا يمكن التنبؤ به وجديد يجعل الواقع الافتراضى مرحًا جدًا.. إنها فقط تبنى شخصيتها وقواعدها.. بالنسبة لى كمبدعه، إنه وقت رائع لاستكشاف ومتابعة تطورات هذا العالم الجديد وحتى استكشاف الأفكار فى رأسى»

■ ■ ■

بعد العمل الحر لما يقرب من 20 عامًا، قررت الرسامة «دارين بوث» تجربة تقنيات IPAD وتقول: «لقد فتح عالمًا جديدًا بالكامل وأعاد تنشيط الأفكار داخلى.. كما قادنى اختبار مجموعة جديدة من الأدوات ومجموعة متنوعة من التطبيقات بشكل طبيعى إلى الواقع الافتراضى.. وأدركت بسرعة أن تلك التقنيات الجديدة لديها القدرة على تغيير كيفية استخدام الفن والتفاعل معه».

انتهت «دارين» من دورة تدريبية لمدة 12 أسبوعًا مع ADOBE، وتجربة ADOBE AERO. AERO، هو أحد التطبيقات الرائدة المصممة لجعل تصميم AR أكثر سهولة: «أنا لا أحب الأعمال الفنية ثنائية الأبعاد.. لكن مع الواقع الافتراضى من المثير جدًا أن يكون لديك مراحل اكتشاف مرة أخرى.. وأشعر بالفضول حيال كيفية إنشاء شيء ليبدو حقيقيًا». ■

## قيادات نسائية فى المخابرات وعلوم الفضاء والسياسة حول العالم:

# «منصبهن» عظيم!

آلاء البدرى

**شهدت السنوات الخمس الأخيرة صعود المزيد من النساء ليشغلن مناصب إدارية وتنفيذية وسياسية مهمة، لم يتوقع أحد فى أن ترأسها امرأة فى يوم من الأيام.. خاصة فى دول لم تصل فيها نسبة مشاركة المرأة فى العمل إلى ٥٠٪.. فى الوقت نفسه شكل وصول عدد من النماذج النسائية لمناصب مهمة عالميًا إجابة واقعية للسؤال السائد حول فاعلية المرأة فى المناصب القيادية وقدرتها على تحمُّل المسئولية.**

### سيدات الفضاء

منذ عدة أيام، ترقت «كاثى لودرز» إلى رئيس مديرية رحلات الفضاء البشرية التابعة لوكالة ناسا، حسبما أعلن مدير الوكالة «جيم بريدنشتاين» بعد أسبوعين فقط من الإطلاق الناجح لرائدة الفضاء ضمن فريق ARTEMIS إلى محطة الفضاء الدوليّة.

وشغلت «لودرز» منصب مدير برنامج الطاقم التجارى التابع لوكالة ناسا، بعد رحلة عمل فى وكالة ناسا منذ العام 2014، وتم اختيارها للمنصب الجديد بسبب اهتمامها العميق بتطوير الأسواق التجارية فى الفضاء والتى يعود تاريخها إلى عملها الأول فى برنامج مكوك الفضاء من شركة COMMERCIAL CARGO وCOMMERCIAL CREW، حيث ساعدت بأمان ونجاح فى الضغط لتوسيع القاعدة الصناعية خلال تلك المشاريع.

لم تكن «لودرز» أول امرأة تتولى منصبًا مهمًا فى ناسا؛ إذ سبقها كثيرات حاربن من أجل المشاركة فى العمل الحقيقى وارتقاء المناصب، وعملت النساء فى البداية داخل وكالة ناسا فى الدعم كمديرات وأمناء وأطباء وعلماء نفس ومهندسات فى الستينيات، وسط ضغط من الرجال داخل الوكالة؛ حيث حارب «جورج لو» رئيس ناسا لرحلات الفضاء وقتها وجود النساء داخل الوكالة، معتبرًا أن أن العمل مع النساء سيؤخر عمله.

جاءت توجيهات جون كينيدى، الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت، بضرورة تشجيع المساواة بين الجنسين فى القوى العاملة، ما أدى إلى خلق توجيه سياسة جديدة على مستوى الوكالة ينص على أن وكالة ناسا توفر فرصًا متساوية لجميع أنواع الأشخاص الراغبين فى العمل مع وكالة ناسا، ورغم ذلك لم يتم اختيار أى امرأة للانضمام إلى فريق رواد الفضاء.

وكانت السبعينيات نقطة انطلاق دفعت النساء خطوة نحو التحوُّل إلى رواد فضاء، وبالتزامن مع تلك الخطورة بدأ الجيش بقبول النساء لتدريب الطيارين الذى أدى فى النهاية إلى وجود رواد فضاء من النساء.

وفى يونيو 1983، صنعت «سالى رايد» التاريخ كأول رائدة فضاء أمريكية، وبعد نحو عام استقلت «جوديث ريسنيك» مكوك الفضاء ديسكفرى وأصبحت ثانى امرأة أمريكية فى الفضاء.

تبع ذلك انضمام «إلين أوتشوا» إلى وكالة ناسا فى عام 1988، لتصبح أول رائدة فضاء من أصل إسبانى، وتولت مهمات متعددة شملت 4 رحلات وقرابة الألف ساعة فى الفضاء.

فى عام 1985، قامت شانون لوسيد برحلتها الأولى، وبحلول نهاية حياتها المهنية قضت 188 يومًا فى الفضاء وسجلت لوسيد رقمًا قياسيًا أمريكيًا للرجال والنساء على حد سواء، فى قضاء أكبر عدد من الأيام فى الفضاء حتى عام 2002.

وبحلول التسعينيات، كانت ناسا تقوم بالكثير من الأبحاث فى أجساد النساء وتأثيرات الفضاء على أجسادهن، استمرت الوكالة بعد ذلك فى إطلاق عدد النساء فى البعثات الكوكبية، وتم إعطاء النساء معظم الأدوار كمحققين مشاركين وعلماء مشاركين بنسبة لا تزيد على 10 ٪ من الفريق.

بدأت هذه النسبة فى الزيادة فى العقد الأول من القرن الحالى لتصل مشاركة النساء فى الرحلات الفضائية إلى نحو 30 ٪ من

طاقم العمل، وفي عام 2007 أصبحت «بيجي ويتسون» أول امرأة تتولى قيادة محطة الفضاء الدولية، كما أجرت عشرات الاختبارات في الفضاء التي عززت تقنيات الفضاء التي لا تزال تستخدم حتى اليوم.

## نساء المخابرات

وصلت «جينا هاسبيل» ضابطة الاستخبارات أمريكية إلى منصب مديرة وكالة المخابرات المركزية (CIA) وهي أول امرأة تشغل هذا المنصب على أساس دائم، بعدما شغلت منصب نائب مدير الوكالة، وأصبحت مديرة بالإنابة بعد استقالة «مايك بومبيو» ليصبح وزير خارجية الولايات المتحدة.

رُشحت«هاسبيل» من قبل الرئيس دونالد ترامب في 17 مايو 2018، بعد حصولها على عدد من الجوائز من بينها جائزة بوش الأب للتميُّز في مجال مكافحة الإرهاب، وجائزة دونوفان، ووسام الاستخبارات، وجائزة الرتبة الرئاسي.

ركزت «هاسبيل» بعد استلامها المنصب على تعزيز الأساسيات مثل إعادة بناء المعنويات ودفع المزيد من الضباط إلى المناصب الخارجية والتأكيد على مهارات التجسُّس الأساسية، مثل الخبرة اللغوية.

ولا تزال «هاسبيل» من الشخصيات العالمية المثيرة للجدل؛ حيث عملت قبل توليها المنصب، كرئيسة لموقع أسود لوكالة المخابرات المركزية في تايلاند في عام 2002، وكانت مسئولة عن تعذيب الأسرى بشتى الطرق بما في ذلك الغمر بالمياه وأنواع تعذيب أخرى تحت مسمى تقنيات الاستجواب المحسنة حتى لقبت حينها بـ«جودى الدموى». وفي أغسطس 2018 تم الاطلاع على كل ما أذنت به أو كتبته «هاسبيل» أثناء عملها كرئيس لقاعدة تايلاند، وهو ما أكد تورطها.

## قادة وساسة وجنرالات

ورغم ما حقّقته المرأة في مجالات العمل وصولًا إلى مناصب رفيعة وسرية حتى في الدول النامية والعالم الثالث، لكن لايزال هناك انخفاض ملحوظ في وجود الإناث المشاركات في العمل العام والساحة السياسية.. ففي سنغافورة على سبيل المثال تشكل الإناث 42 ٪ من القوى العاملة ومع ذلك يشغل جزء كبير مناصب غير محورية ذات رواتب منخفضة.. ويرجع ذلك إلى المؤهلات التعليمية المنخفضة للمرأة وخبرات العمل الأقل من الرجل وتركيز المرأة وتفانيها في دورها في الحياة الأسرية.

وتظهر في سنغافورة كل ١٠ سنوات امرأة واحدة فقط تلمع في مجال العمل العام، وتتقلد منصبًا كبيرًا، وتعتبر «جان سيو هوانج» أهم امرأة سنغافورية، وحصلت على شهرة عالمية كونها أول امرأة تصل إلى منصب رئيس أركان سلاح الجو السنغافوري، بعد أن تلقت تعليمها ما قبل الجامعي في فيكتوريا جونيور كوليدج ثم حصلت على منحة الاستحقاق للقوات المسلحة السنغافورية في عام 1993، كما حصلت بعد ذلك على بكالوريوس العلوم من كلية لندن للاقتصاد وحضرت دورة القيادة والأركان في كلية الدفاع النيوزيلندية عام 2003.

وشغلت «هوانج» عدة مناصب عسكرية منها القيادة والأركان في القوات المسلحة السنغافورية بما في ذلك قائد السرب 203، قائد مجموعة المراقبة والتحكم الجوي، وكانت رئيسة قسم القوى العاملة المشتركة في وزارة الدفاع، حيث خلفت «العميد نيو هونج كيت» كقائد لقيادة توليد الطاقة الجوية في 5 أكتوبر 2016.

وفي يوليو 2019 تم تعيين «هوانج» رئيسًا للأركان الجوية خلفا للعميد «تومى تان آه هان»، وكانت جان أيضًا عضوًا في اللجنة التنفيذية لمرشدات سنغافورة في عامي 2016 و2017 وحصلت على ميدالية الإدارة العامة العسكرية في عام 2013، لكنها في مارس 2020 استقالت من منصب رئيس الأركان الجوية لجمهورية سنغافورة ويشاع أنها في مرحلة التجهيز لمنصب رفيع سيغير مستقبل المرأة السنغافورية بالكامل.

من سنغافورة إلى بنجلاديش، تعتبر الشيخة حسينة، رئيسة وزراء بنجلاديش، واحدة من أكثر النساء نفوذا في العالم وأهمهن على الإطلاق، إذاحتلت المرتبة 26 في قائمة فوربس من أعظم ١٠٠ امرأة قوية في العالم، كما احتلت أيضًا المرتبة الـ٣٠ في قائمة أعلى 100 مفكر عالمي في العقد الحالي.

وتشغل الشيخة حسينة عضوية مجلس القيادات النسائية العالمية وهي شبكة دولية من الرئيسات الحاليات والسابقات ورئيسات الوزراء امتدت مسيرتها السياسية لأكثر من أربعة عقود، كما عملت في السابق كقائدة معارضة من عام 1986 إلى عام 1990، تبع تلك الفترة توليها رئاسة الوزراء حتى العام 2001.

عادت «حسينة» لرئاسة الوزراء بانتصار ساحق في يناير 2014 لولاية ثالثة في انتخابات غير معارضة وفي انتخابات قاطعتها المعارضة وانتقدها مراقبون دوليون وفازت بولاية رابعة في ديسمبر 2018 بعد انتخابات شابتها أعمال عنف وانتقدتها المعارضة بأنها مزورة.

ولقبت حسينة بالمرأة العالمة وذلك بسبب حصولها على أكثر من ٤٠ جائزة وحملها ٣٠ شهادة دكتوراه فخرية القانون من جامعة بوسطن في 6 فبراير 1997 ودكتوراه فخرية.

## سيدة المحيط الهادئ

حتى في الجزر النائية والمنفصلة حصلت المرأة على مكانة رفيعة ووصلت إلى العالمية، وتعتبر «شارمين إيرادينومو سكوتى» وزيرة داخلية جزيرة «ناورو» هي أشهر نساء جزر المحيط الهادئ، ولقبت بسيدة الجزر.

صنعت التاريخ باعتبارها ثاني امرأة تدخل البرلمان، وبعد انتخابها في البرلمان تم تعيينها من قبل الرئيس المنتخب حديثا بارون وقا للعمل في إدارته كوزيرة للداخلية التي تشمل شئون المرأة والتعليم والشباب وإدارة الأراضي، كما عملت مديرة في أعلى مستويات الخدمة العامة وبلغت ذروتها كسكرتيرة دائمة في وزارات الصحة والشئون الداخلية والعدل قبل انشغالها بالسياسة. ■

د. حسين عبد البصير* يكتب عن:

الوجه الآخر للإسكندرية:

# سايس.. عاصمة الصاويين

**سايس أو صالحجر مدينة ذات تاريخ عريق، تقع فى مركز بسيون بمحافظة الغربية عند فرع رشيد، وتقترب من ساحل البحر الأبيض المتوسط، يعود تاريخها إلى العصر الحجرى الحديث، وتطوَّرت خلال عصر الأسرات الفرعونية.**

**كانت تسمى فى عهد الفراعنة «صاو»، وحرَّفها الإغريق إلى «سايس»، وسُميّت فى العصر الحديث صالحجر، وصلت سايس إلى أهميتها فى المجال السياسى فى الفترات المتأخرة من تاريخ مصر القديمة، حين أصبحت عاصمة مملكة كبيرة أسَّسها كبار حكام الليبو، وانبثقت منها الأسرتان: الرابعة والعشرون والسادسة والعشرون اللتان خاضتا صراعًا من أجل توحيد مصر.**

## إلهة سايس

وكانت الإلهة نيت ربة المدينة، تضع على رأسها تاج مصر السفلى الأحمر وتمسك بالقوس الذى كان من رموزها، وخلال الدولة الوسطى كانت لها معبودة تسمى «نبت صاو» بمعنى «سيدة سايس»، تمثل أحيانًا فى صورة الربة نيت والتى كان لها معبد كبير فى المدينة، أما فى عصر الدولة الحديثة، فكانت الإلهة موت ربة من ضمن ربات سايس، وفى العصور المتأخرة، صارت الربة حتحور سيدة سايس، واستطاعت الإلهة نيت–أم الإله رع– أن تحتل مكانة الإله آمون كإلهة أولى خلال عصر الأسرة السادسة والعشرين الصاوية (664 – 526 ق.م).

وصف المؤرخ الإغريقى هيرودوت سايس، بأنها كانت مركز التجارة بين اليونان ومصر، وكان التبادل التجارى بين سايس واليونان ودول البحر المتوسط يتم عن طريق «أبوقير»، وتقع المنطقة الأثرية شمال القرية، وتمثل بقايا العاصمة الصاوية، وفى العصر الحديث، بدأت أعمال الحفائر فى صالحجر عام 1850 ثم فى عام 1901. وتم اكتشاف عدة تماثيل نُقلت إلى المتحف المصرى بالقاهرة، منَها تمثال لـ«واح أيب رع»، وتمثال آخر لـ«سماتاوى تف نخت»، وتم نقل بعض التماثيل الصاوية إلى المتحف اليوناني–الروماني في الإسكندرية، وقام بأعمال حفر بالمنطقة الأثرية عدد من البعثات الألمانية والإنجليزية والسويدية.

## آثار باقية

منذ عام 1997، ترأست عالمة الآثار والأستاذة بجامعة درهم البريطانية الدكتورة بينى ويلسون البعثة الأثرية بمنطقة تل ربوة الأحجار فى سايس القديمة، وتوصلت لعدد كبير من النتائج؛ منها العثور على مجموعة مجموعة من النقوش، ووجدت البعثة ما يشبه المربع مساحته 700 متر فى 780 مترًا، وكان يحيط به جدار مرتفع يصل إلى عشرين مترًا. يمكن أن يكون قلعة أو حصنًا فى هذه المدينة، ووجدت البعثة حفرة تعتبر موقعًا لتجميع مياه الصرف.

عثرت البعثة على ركام من الحجر الصوان والخزف والعظام، ما مكّنها من الحصول على العديد من المعلومات، ومن بين الركام، وجدت كتلة سوداء، وهى كتلة من عظام الأسماك تعود إلى 4 آلاف سنة ق.م.؛ ما يؤكد على أن أهل المكان احترفوا مهنة الصيد، واستخدموا فى تربية الأسماك أحواضًا من الطين، كانت مخصصة لصيد القراميط.

ومن بين الآثار التى حصلت عليها البعثة رمح كان يُستخدم فى صيد الأسماك، وعاش بالمنطقة الجنود والزراع الذين كانوا يقومون على خدمة الجيش، ويبدو أن أغلب سكان الموقع كانوا ينتمون للطبقة الفقيرة، وهو ما أظهرته طرق ووسائل الدفن، ورغم كونها منطقة انتشرت بها العشوائيات؛

فإنها تميَّزت بالتنوُّع الطبقي؛ فمن واقع التنقيب عبر طبقات الأرض الأولى، ومن بين الاكتشافات التى عُثر عليها فى مدينة سايس، معبد الربة نيت فى الجنوب، والذى أشارت عدة مصادر إلى وجوده، لكن البعثة لم تتوصل إلى مكانه بالتحديد؛ إذ ربما يكون تحت طبقات من الأرض، وعثرت البعثة على مجموعة من تماثيل الأوشابتى، وهو ما قد يكون دليلاً على وجود مقبرة ملكية فى الموقع.

## عاصمة الغرب

تعتبر سايس أول عاصمة لمصر فى الغرب، وتعتبر مثالاً مبكرًا للإسكندرية التى تعتبر من العواصم التى تقع فى غرب الدلتا؛ فغالبًا كانت عاصمة البلاد فى شرق الدلتا؛ لحرص الملوك على العلاقات مع بلاد الشرق الأدنى القديم مثل سوريا وفلسطين، واعتبرت سايس مدينة مستقلة ذاتيًا، إلا أن المشهد تغيَّر على مدار 6 آلاف سنة بتغيُّر السكان، بسبب فيضان النيل، حيث حدثت ترسبات طينية، وخلَّف الفيضان طبقة تزيد على 0.4 متر، وهى طبقة تبدو صغيرة، لكن بمرور السنين وصل تراكم الطمى إلى عدة أمتار، ما أثر على مجرى النهر والأرض من حوله.

بعد مرور آلاف الأعوام من تجمع الطمى، تغيرت المنطقة من الناحية الجيولوجية،

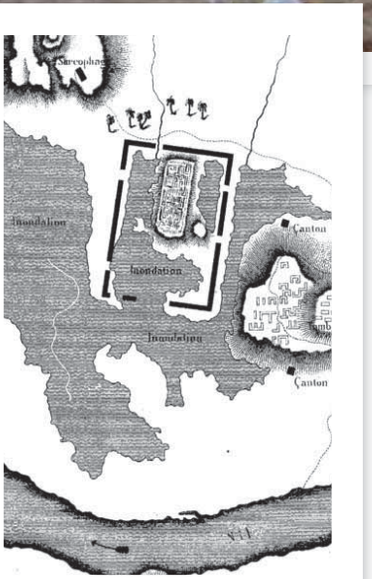


فانخفضت التلال التى كانت موجودة، كما تم غمر الأودية بالكامل، بالإضافة إلى الركام المتناثر المتخلف، وزادت الرقعة المزروعة. ما يشير إلى بداية زيادة النمو الاقتصادى، ما شجع أن تكون حاضرة من حواضر مصر، وأقيمت مدينة سايس فى منطقة نائية؛ إذ لا يوجد حولها شيء، وفى حدود دائرة قطرها 15 مترًا، أي مواقع أثرية حتى كفر الشيخ.

## وجه الإسكندرية

ومن بين أوجه التقارب بين مدينة الإسكندرية ومدينة سايس، التشابه فى مواد البناء والأحجار المستخدمة فى نحت التماثيل. كما أن بعض الأحجار تم جلبه للإسكندرية من سايس؛ فقد كانت المدينة همزة الوصل بين الوجه القبلى والبحرى عبر نهر النيل. وربما كان بقصر كليوباترا الغارق بعض الأحجار من سايس، وتم جلب تابوتها من سايس. كما يوجد وجه تشابه لبعض الأبراج الشاهقة والمنارات فى الإسكندرية وسايس. وتتشابه المدينتان فى أنه فى الإسكندرية عُبدت الإلهة إيزيس، أما سايس فعُبدت الإلهة نيت، وهناك العديد من التماثيل صُنعت فى مدينة سايس، ظهرت فى الإسكندرية، فضلا على التشابه الذى يصل إلى التطابق بين أشكال التماثيل.

ترجح الدكتورة ولسن أن مكان حجر رشيد الحقيقى قرية صالحجر الحالية، وليس مدينة رشيد؛ إذ تم نقل الحجر عبر النيل إلى رشيد؛ حيث عُثر عليه هناك، بناءً على أن آثار صالحجر تم نقلها إلى رشيد وفوة عبر المراكب بالليل.

اتخذ الملوك الصاويون من مدينة سايس القديمة عاصمة الأسرة السادسة والعشرين الصاوية فى الفترة من عام 664–526 قبل الميلاد؛ حتى صارت صالحجر

تمتلك تاريخًا عظيمًا، وصار معظم المتاحف فى العالم تضم آثارًا من سايس عاصمة مصر فى عصر الأسرة السادسة والعشرين.

## آخر الملوك العظام

كانت مصر فى موعد مع القدر عندما منَّ الله عليها بواحد من أفضل الملوك المحاربين والدهاة السياسيين، الملك بسماتيك الأول الذى تولى حكم مصر فى فترة عصيبة من عصرها المتأخر، وقاد مصر إلى المجد والقوة والنهضة، فكانت أشبه بابتسامة مبتسرة قبل أن يتم إسدال الستار على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، وقبل أن تتحول إلى مملكة يحكمها الغرباء، بداية من الإسكندر الأكبر وخلفائه من الملوك البطالمة.

نجح الملك بسماتيك فى فرض قبضته القوية على حكم مصر بعد هروب الكوشيين أو النوبيين إلى بلادهم وبعد انتهاء الأسرة الخامسة والعشرين، وبدأت فى التشكل والظهور الأسرة السادسة والعشرون الصاوية المصرية الوطنية تحت حكم الآشوريين، حين قام الآشوريون بقيادة ملكهم الأشهر آشوربانيبال بتعيين نكاو أو نخاو الأول كحاكم على مدينة سايس وابنه بسماتيك الأول كحاكم على مدينة أثريب أو أتريب بالقرب من بنها فى القليوبية، وفرض الملوك الصاويون سيطرتهم على الدلتا شيئًا فشيئًا ككام تابعين للآشوريين، وفى عام 664 قبل الميلاد، مات نكاو أو نخاو الأول، فقام الآشوريون بتعيين ابنه بسماتيك الأول كملك على مصر.

لم يكن صعبًا على الملك العسكرى والسياسى بسماتيك الأول أن يسيطر على الدلتا التى جاء منها، خصوصًا أن أمراء الدلتا كانوا ضعافًا وحكامها لم يكونوا يشكلون أي خطورة، بعد أن مهّد له أبوه الحكم أثناء فترة تبعيته للحكم الآشورى، غير أن الصعوبة التى واجهها بسماتيك الأول كانت فى سيطرته على الصعيد المصرى البعيد عن الدلتا والعصىّ على السيطرة والاعتراف بحكمه، وتحديدًا مدينة طيبة العاصمة الدينية العريقة ومركز عبادة الرب الأكبر الإله آمون.

## السيطرة على الجنوب

أثبت الملك بسماتيك الأول أنه سياسى محنك ورجل دولة من طراز رفيع؛ ففى عام 656 قبل الميلاد، قام بإرسال ابنته الأميرة نيوت إقرت أو نيوتكريس إلى الجنوب، إلى طيبة عاصمة مصر الدينية، كى يتم تعيينها كزوجة مستقبلية للإله آمون رب طيبة الأعظم، فى معبد الإله آمون، وكى يضمن السيطرة الدينية ومن ثم السياسية على طيبة وعلى الجنوب وعلى معبد الإله آمون وكهنته المسيطرين.

**كيف استطاع الملك بسماتيك تحقيق النهضة فى العصر المتأخر.. وسر زواج ابنته من الإله آمون**

كان بسماتيك الأول من الذكاء بمكان حين استخدم نبلاء الجنوب، ولم يعاد أحدًا منهم، وكان من بين أهمهم، والذى استَخدمه كى يدعم حكمه وحكم ابنته فى الجنوب بعد قيامه بخطوة تعيينها بمعبد الإله آمون، مونتو إم حات، عمدة طيبة القوى النبيل والكاهن الرابع للإله آمون، وكان بسماتيك رجل دولة مميزًا حين لم يخلع زوجتيّ الإله آمون الحاليتين من الأسرة السابقة، أى الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية أو النوبية والتى هرب ملوكها إلى الجنوب، وهما شبن أوبت الثانية وآمون إردیس الثانية؛ حتى لا يدخل فى محظور دينى يفقد به ما أراد تحقيقه من تعيين ابنته كزوجة مستقبلية للإله بعد موتهما.

بعد أن سيطر بسماتيك الأول على الدلتا أولا، ثم على الصعيد ثانيًا اتجه ببصره إلى خارج الحدود، بعد أن أمنَ دولته فى الداخل، وحاول استعادة أمجاد ملوك مصر السابقين فى الشرق الأدنى القديم، غير أنه وجد أن الأمر يحتاج إلى تكوين جيش قوى، فتوصّل إلى فكرة بديعة من خلال تكوين جيش من الجنود المرتزقة من بلاد البحر الأبيض المتوسط، فجمع عددًا كبيرًا منهم من الإغريق والكاريين وغيرهما.

حكم بسماتيك الأول مصر 54 عامًا، أعاد مصر فيها إلى عصر الاستقرار والقيم الدينية الراسخة فى عقيدة المصريين القدماء، وعلى الرغم من التأثر الكبير بالتأثيرات الوافدة من الخارج فى الفن والتجارة، والتى لم تحدث من قبل، قام ذلك الملك ورجال عهده ومن تلاهم بالنظر إلى آثار الماضى فى عصور الدول القديمة وقام بتقليد فنون ونصوص الفترات السابقة ووضع لمستهم الفنية فى محاولة منهم للالتصاق بمجد الماضى فى مواجهة ضعف الحاضر.

فى عام 653 قبل الميلاد، استغل بسماتيك الأول انشغال ملوك آشور بأمورهم الداخلية، وانسلخ من سيطرتهم، وهم أيضًا لم يهتموا بانفصاله عنهم؛ نظرًا لشدة الصراع الداخلى على العرش لديهم، وتهديد قوة بابل الصاعدة من الجنوب لهم، فكان لبسماتيك ما أراد، وأخذ لنفسه خطًا مغايرًا فى السياسة الخارجية، وجعل من مصر قوة ضاربة ومهمة ومؤثرة فى منطقة الشرق الأدنى القديم.

غياب آشور عن المسرح السياسى للأحداث فى الشرق الأدنى القديم، ترك فراغًا سياسيًا كبيرًا فى المنطقة؛ فظهرت قوى أخرى مثل البابليين تحت قيادة ملكهم الشهير نابوبولاصر، وظهر كذلك الميديون، وظهر الساسانيون. وفى الفترة من 629 إلى 627 قبل الميلاد، قام نابوبولاصر بالتحرك جنوبًا إلى جنوب فلسطين حتى دحره المصريون فى أشدود على الساحل الفلسطينى.

تيقن بسماتيك من الخطر الحقيقى لمصر لانهيار الآشوريين؛ لذا ساعدهم ضد البابليين فى عام 616 قبل الميلاد، غير أنه لم تكن لديه قوات كافية كى يقضى على البابليين من دون مساندة منه لحلفائه الآشوريين السابقين، غير أن قوى دولية أخرى مكونة من الفرس والساسانيين قامت بمهاجمة آشور فى عام 612 قبل الميلاد وقامت بالقضاء على الخط المالك فى البيت الآشورى.

بسماتيك الأول ملك مصرى محارب وسياسى من طراز رفيع حقق لمصر مجدها وجعل لمصر مكانها فى عالميّ الشرق الأدنى القديم والبحر المتوسط وحقق عصر النهضة الصاوية فى فترة متقلبة من تاريخ مصر القديمة، فكان نعم الفرعون الموحد لمصر العظيمة والمجدِّد لثقافتها والمعيد لمجدها الخالد. ■

* مدير متحف الآثار- مكتبة الإسكندرية